الفهم الاميركي للشرق الاوسط

Quandt, William B.; *Camp David: Peacemaking and Politics,* Washington, D. C.: The Brookings Institution, 1986, 426 pages.

وقعت دراسة السياسة الخارجية الاميركية ازاء منطقة الشرق الاوسط، في الكتابات العربية والى حد ما الاجنبية، في مأزقين استعصى على العديد الانفلات منهما. الاول، هو ما يمكن تسميته بالانطباعية، وذلك بأن يستنبت الكاتب وجهة نظر حيال تلك السياسة من جملة انطباعات، تبنى انطلاقاً من قراءة الصحف والمجلات واسعة الانتشار، من دون جهد يبذل بدأب باتجاه التثبت من حقيقة المعلومات، أحياناً، ومن دون الاسترشاد بمنهج يشكل معياراً تقاس عليه وجهة نظره، في أغلب الاحيان. ولا شك في أن هذا المأزق شبه اجمالي، ويطال «مجهودات» عديدة بذلت في هذا الاتجاه. أما المأزق الثاني، فهو طغيان جانب السرد الكرونولوجي على دراسة السياسة الخارجية الاميركية، حيث يتصدى الكاتب للاحداث، والظواهر، ضمن منحى مونوغرافي تقليدي، يتناول بدءها، فتطورها، فنهايتها، وفي كلمات اضافية، مؤشراتها المستقبلية.

لهذه الاسباب مجتمعة، يشكل كتاب وليم كوانت «كامب ديفيد: السلام والسياسة»، نقطة تحوّل بارزة، في الاتجاه المعاكس، ينبغي التوقف عندها. ورب أسباب عديدة تدفعنا الى القول ان وليم كوانت ليس غريباً عن المنطقة؛ وهذا ما يحملنا، بالفعل، الى مزيد من الاهتمام بموضوعه. فهو قبل أن يصبح ما هو عليه اليوم (ومنذ ١٩٧٩)، كباحث في مؤسسة بروكينغز المعنية بدراسة السياسة الخارجية الاميركية ـ وهي مؤسسة عظيمة التأثير في صناعة قرار البيت الابيض الخارجي ـ أمضى قرابة الثلاث سنوات في مجلس الامن القومي الاميركي، كان خلالها معنياً، بصورة رئيسة، بالعلاقات الاميركية ـ العربية. منصبه هذا مكّنه من زيارة معظم البلدان العربية، والمكوث فيها فترات طويلة نسبياً؛ كما أجرى خلالها العديد من المقابلات مع قادة سياسيين، وأكاديميين، وصحفيين، ورجال أعمال؛ ثم ان موقعه الاكاديمي الرسمي، وصلاته العربية الواسعة، سمحت له بالوصول الى عدد هائل من الوثائق (وهو، بالمناسبة، يقرأ العربية، وهذا شرط، يبدو لنا، على جانب كبير من الاهمية)، ومقابلة عدد كبير من المسؤولين الذين شغلوا مناصب حساسة في عهد الرئيس الاميركي جيمي كارتر؛ كما أن هذا الاخير قد منحه اذناً خاصاً للاطلاع على ارشيفه الرئاسي الخاص.

ان الكتاب الذي نحن بصدد مراجعته، ليس أول كتاباته، وهو، بالفعل، غزير الانتاج (عن القضية الفلسطينية، الجزائر، السعودية)، وقبل أي شيء آخر، كتابه الشهير، الذي أصدرت منه طبعات متتالية، بعنوان «عقد من القرارات: السياسة الاميركية تجاه الصراع العربي ـ الاسرائيلي، ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦»، درس فيه، بصفة رئيسة، سياسة نيكسون ـ كيسنجر الشرق أوسطية، من وجهة نظر أثارت النقاش الحاد، نظراً الى عدم تفهّم الكاتب آنذاك (أو كصانع رأي يتسم بالمناورة)، طبيعة تدهور النظام العربي برمّته، الذي تعرض، بفعل المال النفطي، الى محنة استراتيجية على كافة الصعد: تعثر في العمل التنموي الهادف، وقهر الارادة الشعبية، وتفاقم التبعية الاقتصادية والسياسية للولايات المتحدة، فيما أضحت اسرائيل تنعم بحزام آمن من مناطق بدأت تحولها الى مناطق تفاعل، ثم التحام اقتصادي ـ اجتماعي. وليس هنا مجال التعرض لاركان المحنة هذه، ولا نظن ان كوانت، نفسه، قادر على دفع هذه المقولات، الا تملصاً.

ليست الفصول الاثنى عشر التي يتألف منها الكتاب عادية. ان المواضيع المثارة، ونوعية الوثائق التي